

مفاهيم القرآن

(153) ولمّا كانت هذه المسؤوليات لا ينهض بها إلّا الإمام اللائق بخلافة النبيّ صلّى الله عليه وآله و آلّه و سلّم القادر على سدّ الفراغ الكبير الذي يحدثه غياب النبيّ صلّى الله عليه وآله و آلّه و سلّم ولا توجد هذه اللياقة بالتربية العادية المتعارفة بل لا بدّ من عناية ربانية واعداد إلهي. ولمّا كانت معرفة مثل هذا الإمام اللائق المعصوم متعذرةً على الأُمّة، يتعين على الله سبحانه العارف بعباده، المحيط بهم، أن يعرف الأُمّة بالإمام وينصبه لهم. ولا يترك الأمر إلى نظر الأُمّة ورأيها لتختار حسب ما ترى، وتشاء. ثمّ إنّ الشيخ الرئيس (ابن سينا) أشار في بعض كلماته إلى فوائد تنصيب الإمام، التي ترجع إلى بعض ما ذكرنا، وإليك بعض نصوص كلماته: (ثمّ إنّ هذا الشخص الذي هو النبيّ صلّى الله عليه وآله و آلّه و سلّم، ليس ممّا يتكرر وجود مثله في كلّ وقت فإنّ المادة التي تقبل كمال مثله يقع في قليل من الأزمنة، فيجب لا محالة؛ أن يكون النبيّ قد دبر لبقاء ما يسندّه ويشرّعه في أمور المصالح الإنسانية تدبيراً عظيماً). إلى أن قال - في الفصل الخامس -: ثمّ يجب أن يفرض السانّ (أيّ الشارع) طاعة من يخلفه، وأن لا يكون الاستخلاف إلّا من جهته (أيّ من جهة السانّ - الشارع) أو بإجماع من أهل السابقة على من يصحون، علانيةً، عند الجمهور أنّّه مستقل بالسياسة وأنّه أصيل العقل حاصل عنده الأخلاق الشريفة من الشجاعة والعفة وحسن التدبير، وأنّه عارف بالشرعية حتّى لا أعرف منه تصحيحاً. إلى أن قال: ويسنّ عليهم أنّهم إذا افرقوا وتنازعوا للهوى والميل، أو أجمعوا على غير من وجدوا الفضل فيه والاستحقاق فقد كفروا بالله. والاستخلاف بالنمّ أصوب؛ فإنّ ذلك لا يؤدي إلى التشعّب والتشاغب والاختلاف (1). _____ 1- الشفاء 2 (الفن الثالث عشر في الإلهيات - المقالة العاشرة الفصل الثالث والخامس - في المبدأ والمعاد): 558 و 564 (طبعة إيران).